التوجيه النحوي للقراءات العشر في عمل المصدر

أ . علي صالح أحمد عبدالله
كلية الآداب بالجميل، قسم اللغة العربية

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين ، سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، وعلى آله وصحبه، ومن اتبع هديه إلى يوم الدين . وبعد

إن القرآن الكريم هو كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد، هو نوره المبين الذي أشرقت له الظلمات، ورحمته المهداة التي بها صلاح جميع المخلوقات .

ولقد من الله علي بأن يكون موضوع هذا البحث تقاطع محوري ـ إن صح التعبير . بين اللغة والقرآن ، فكان عنوانه **(التوجيه اللغوي للقراءات العشر في عمل المصدر)** ، وقد اخترت هذا العنوان لإبراز بعض الاختلافات في القراءات حول هذا الموضوع ، وعلى الرغم من وجود بعض الاختلافات إلا أن المعنى العام للآيات ثابت، وقد لوحظ من خلال الدراسة تأثر القراء بتوجهات المدرسة النحوية التي يتبعها كالبصرة والكوفة وبغداد. وقد قسم البحث إلى ثلاثة مباحث: تناول الأول مصطلحات البحث كالقراءة والرواية والطريق، وتعرضت فيه أيضا للأحرف السبعة التي نزل بها القرآن؛ لأنها من صميم الموضوع باعتبار البحث يتناول الاختلاف بين القراءات، وتناول الثاني ترجمة موجزة لكل قارئ من القراء العشرة وراوييه، وخصص الثالث لموضوعين : الأول : التعريف بالمصدر وشروط عمله والفرق بين المصدر واسم المصدر، والموضوع الثاني الاختلاف بين القراء في عمل المصدر وقد اخترت أربع آيات من الذكر الحكيم شرحت فيها كيف قرأ كل قارئ من القراء العشرة، وكيف أولت القراءة مع بيان المعنى والإعراب لكل وجه. وأخيرا وليس آخرا نسأل الله التوفيق والسداد وما التوفيق إلا من عنده فإن وفقت فمنه وإن كانت الأخرى فمني ومن الشيطان .

المبحث الأول : مصطلحات البحث:

1. علم القراءات : هو علم يعرف به كيفية النطق بالكلمات القرآنية، وطريقة آدائها اتفاقا واختلافا مع عزو كل وجه لناقله .وموضوع علم القراءات مستمد من كلمات القرآن من حيث أحوال النطق بها، وقد استمد هذا العلم من السنة والاجماع ؛ حيث إنه استمد من النقول الصحيحة والمتواترة عن علماء القراءات المتصل سندهم بنبئ الأمة (صلى الله عليه وسلم) [1]وتكمن فائدة هذا العلم في العصمة من الخطأ في تلاوة آي القرآن الكريم، و وصيانة كلماته من التحريف، والتسهيل والتخفيف على الأمة .[2]

والقراءة المتواترة هي التي رواها جمع عن جمع لا يمكن تواطؤهم على الكذب وصح سندها بنقل العدل الضابط ووافقت قواعد اللغة العربية ورسمها .أما الآحاد فهي القراءة التي صح سندها وخالفت العربية في قواعدها "لَقَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ عَزِيزٌ عَلَيۡهِ مَا عَنِتُّمۡ حَرِيصٌ عَلَيۡكُم بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ " **(التوبة 128)**.

2 . القراءة : وهي الاختيار المنسوب لإمام من الأئمة بكيفية القراءة للفظ القرآني على ما تلقاه مشافهة بسند متصل إلى الرسول (صلى الله عليه وسلم) مثل قراءة نافع وعاصم .

3 . الرواية هي ما نسب لمن روى عن إمام من الأئمة ولكل إمام راويان، اختار كل منهما رواية عن إمامه مثل قالون وورش راويي نافع وشعبة وحفص راويي عاصم .

4 . الطريق: والطريق هي ما نسب للناقل عن الراوي مثل رواية ورش من طريق الأزرق ورواية حفص من طريق عبيد بن الصباح .[3]

معنى نزول القرآن على سبعة أحرف :

يقول العلامة عبد الفتاح القاضي(رحمه الله) اختلف العلماء في المقصود بالأحرف السبعة وذهبوا فيه مذاهب شتى غير أن الراجح من هذه الآراء هو رأي الإمام أبي الفضل الرازي الذي يرى أن هذه الأوجه لا تخرج عما يأتي ذكره بإيجاز مما يسمح به المقام :

فالأول :اختلاف الأسماء في الإفراد والتثنية والجمع كقوله تعالى "أَيَّامٗا مَّعۡدُودَٰتٖۚ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٖ فَعِدَّةٞ مِّنۡ أَيَّامٍ أُخَرَۚ وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدۡيَةٞ طَعَامُ مِسۡكِينٖۖ فَمَن تَطَوَّعَ

خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ وَأَن تَصُومُواْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ " (البقرة 184) قرئ مسكين وقرئ مساكين بالجمع ..

والثاني : الاختلاف في تصريف الأفعال من ماض ومضارع وأمر كقوله تعالى " قَالَ رَبِّي يَعْلَمُ ٱلْقَوْلَ فِي ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ" (الأنبياء 4) قرئ قال بالماضي وقرئ قل بالأمر.

والثالث : الاختلاف في وجوه الإعراب قال تعالى "إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ۖ وَلَا تُسْـَٔلُ عَنْ أَصْحَٰبِ ٱلْجَحِيمِ" (البقرة 119) قرئ لاتسئل بالرفع على أن لا نافية وقرئ وبالجزم على أنها ناهية جازمة . وقوله تعالى "ٱللَّهِ ٱلَّذِي لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ۗ وَوَيْلٌ لِّلْكَٰفِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ" (إبراهيم 2) قرئ الله بالجر وقرئ بالرفع على الابتداء.

الرابع: الاختلاف بانقص والزيادة ومثاله قوله تعالى "وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ" (آلعمران 133) حيث قرئت وسارعوا باثبات الواو وجذفها ومثاله أيضا قوله تعالى وَجَآءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُواْ وَارِدَهُمْ فَأَدْلَىٰ دَلْوَهُۥ ۖ قَالَ يَٰبُشْرَىٰ هَٰذَا غُلَٰمٌ ۚ وَأَسَرُّوهُ بِضَٰعَةً ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ (يوسف 19) قرئ يا بشرى وقرئ بزيادة الألف يا بشراي .

الخامس: الاختلاف بالتقديم والتأخير فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ ۖ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ ۖ فَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَأُخْرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأُوذُواْ فِي سَبِيلِي وَقَٰتَلُواْ وَقُتِلُواْ لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ثَوَابًا مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلثَّوَابِ (آل عمران 195) قرئ بتقديم وقاتلوا وتأخير قتلوا وقرئ أيضا بتقديم قتلوا وتأخير قاتلوا .

السادس: الاختلاف بالإبدال؛ أي جعل حرف مكان آخر ومثاله قوله تعالى وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ. (الشعراء 217) قرئ وتوكل وقرئ بإبدال الواو فاء فتوكل .وقوله أيضا وَمَا هُوَ عَلَى ٱلْغَيْبِ بِضَنِينٍ (التكوير24) حيث قرئ بضنين وقرئ بإبدال الضاد ظاء بظنين .

السابع : الاختلاف في اللهجات : ومثاله إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (البقرة 6) قرئ قرئ بتخفيف الهمز وتحقيقها ومثاله أيضا إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَيِ ٱلَّيْلِ وَنِصْفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ وَطَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَ ۚ وَٱللَّهُ يُقَدِّرُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ۚ عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ فَتَابَ

عَلَيۡكُمۡۖ فَٱقۡرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلۡقُرۡءَانِۚ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرۡضَىٰ وَءَاخَرُونَ يَضۡرِبُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَبۡتَغُونَ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ وَءَاخَرُونَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ فَٱقۡرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنۡهُۚ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَقۡرِضُواْ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنٗاۚ وَمَا تُقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُم مِّنۡ خَيۡرٖ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيۡرٗا وَأَعۡظَمَ أَجۡرٗاۚ وَٱسۡتَغۡفِرُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمُۢ (المزمل 20) حيث قرئت كلمة الصلاة بترقيق اللام وتفخيمها [3] ... ولعل الاختلاف في اللهجات من أعظم الأسباب تيسيرا على المسلمين حيث إن العرب منهم من يميل ومن من يظهر ومنهم من يدغم وهكذا فكان جواز هذا الاختلاف نعمة عظيمة لهم .[4]

المبحث الثاني : تراجم القراء.

1. نافع المدني : هو نافع بن عبد الرحمن بن أبي نعيم، وكنيته أبو رويم وهو أحد القراء السبعة وكان أسود اللون أصله من أصبهان كان حسن الخلق وسيم الوجه وفيه دعابة .ومن أشهر رواته قالون وورش .

أ. قالون : وهو عيسى بن ميناء بن وردان بن عيسى بن عبد الصمد بن عمر بن عبد الله الزرقي مولى بني زهرة ويكنى أبا موسى ويلقب بقالون وهو قارئ المدينة ونحويها .ولد نافع سنة 120هـ في عهد هشام بن عبد الملك وتوفي سنة220 في عهد الخليفة المأمون .

ب . ورش: هو عثمان بن سعيد بن عمرو بن سليمان بن إبراهيم مولى لآل الزبير بن العوام، وكنيته أبوسعيد ولقبه ورش ولد سنة 110 بقفط من بلاد صعيد مصر وأصله من القيروان، رحل إلى المدينة وعرض القرآن على نافع في عدة ختمات توفي بمصر في أيام المأمون سنة 197 هـ .[5]

2 . ابن كثير المكي: هو عبدالله بن عبدالله بن زادان بن فيروز بن هرمز وكنيته أبو معبد ويقال له الداري نسبة إلى بني عبد الدار ، ولد بمكة سنة 45 هـ وهو أحد القراء السبعة وتابعي جليل لقى من الصحابة بمكة عبدالله بن الزبير وأنس بن مالك ، كان قاضي الجماعة بمكة وإمام الناس في القراءة بها توفي رحمه الله سنة 120 هـ بمكة ومن أشهر رواته :

أ ـ البزي : وهو أحمد بن محمد بن عبدالله بن القاسم بن نافع بن أبي بزة ولد سنة 170هـ بمكة كان مؤذن المسجد الحرام وإمامه مدة أربعين سنة توفي بمكة سنة 250 هـ .

ب . قنبل : وهو عبدالرحمن بن خالد بن محمد بن سعيد المخزومي المكي ، كنيته أبو عمرو ولقبه قنبل واشتهر به لأنه كان من بيت بمكة يقال له القنابلة، وقيل لاستعماله دواء يقال له قنبيل معروف عند الصيادلة لداء كان به . ولد بمكة سنة 195 هـ وتوفي بها سنة 291 هـ. [6]

3. أبو عمرو بن علاء البصري :

هو زيان وقيل زبان بن العلاء بن عمار بن العريان بن عبدالله بن الحسين بن الحارث بن جلهمة ينتهي نسبه إلى عدنان وهو أحد القراء السبعة ولد بمكة سنة 70 هـ نشأ بالبصرة وتوجه مع أبيه لما هرب من الحجاج فقرأ بمكة والمدينة وقرأ بالكوفة والبصرة على جماعات كثيرة .توفي بالكوفة سنة 154هـ

وأشهر رواته :

أ . حفص الدوري : وهو حفص بن عمر بن عبدالعزيز صهبان الدوري الأزدي البغدادي النحوي المقرئ الضرير راوي الإمامين أبي عمرو والكسائي ، وكنيته أبو عمرو وينسب إلى الدور وهو موضع ببغداد ولد سنة 150 هـ بالدور وتوفي فيس شهر شوال سنة 246 هت في عهد المتوكل .

ب . السوسي: وهو صالح بن زياد بن عبدالله بن إسماعيل بن إبراهيم بن الجارود السوسي نسبة إلى سوس مدينة بالأهواز الرقي نسبة للرقة على ضفة الفرات كنيته أبوشعيب، توفي بالرقة سنة 261هـ.[7]

4 . عبدالله بن عامر الشامي : هو عبدالله بن عامر بن يزيد بن تميم بن ربيعة بن عامر اليحصبي . نسبة إلى يحصب بن دهمان وكنيته أبو عمران ، أحسن القراء السبعة وأعلاهم سندا ولد سنة 21 هـ ونبغ في كثير من العلوم وخصوصا علم القرآن الذي هو مصدر العلوم ومعينها، إذ كانت قراءة القرآن آنذاك مقدمة على كل العلوم، ومن أتقنها وبرع فيها فهو الإمام المفضل والقدوة المبجل. توفي ابن عامر رحمه الله بدمشق يوم عاشوراء سنة 118هـ ، بعد أن بلغ مائة وعشر سنوات، كانت حافلة بالعلم والعطاء والخير. ومن رواته :هشام وابن ذكوان .

أ. هشام بن عمار بن نصير بن ميسرة السلمي الدمشقي وكنيته أبو الوليد ولد سنة 153 هـ وتوفي سنة 245 هـ.

ب . ابن ذكوان فهو عبد الله بن أحمد بن بشير بن ذكوان القرشي الدمشقي ويكنى أبا عمرو، ولد سنة ثلاث وسبعين ومائة، وتوفي بدمشق سنة اثنتين وأربعين ومائتين .[8]

5 . عاصم الكوفي " هو عاصم بن أبي النجود، ويقال له ابن بهدلة، ويكنى أبا بكر، وهو من التابعين، وعاصم هو الإمام الذي انتهت إليه مشيخة الإقراء بالكوفة بعد أبي عبدالرحمن السلمي وتوفي بالكوفة سنة ثمان وعشرين ومائة. ومن رواته شعبة وحفص .

أ . شعبة فهو أبو بكر شعبة بن عياش بن سالم الكوفي، وتوفي بالكوفة سنة ثلاث وتسعين ومائة.

ب . حفص فهو حفص بن سليمان بن المغيرة البزاز الكوفي، ويكنى أبا عمرو، وكان ثقة قال ابن معين: هو أقرأ من أبي بكر وتوفي سنة ثمانين ومائة.[9]

6 . حمزة الكوفي " هو حمزة بن حبيب بن عمارة الزيات الفرضي التيمي، ويكنى أبا عمارة وتوفي بحلوان في خلافة أبي جعفر المنصور سنة ست وخمسين ومائة. ومن أشهر رواته :

أ . خلف فهو خلف بن هشام البزار، ويكنى أبا محمد، وتوفي ببغداد سنة تسع وعشرين ومائتين.

ب . خلاد فهو خلاد بن خالد، ويقال ابن خليد الصيرفي الكوفي، ويكنى أبا عيسى، وتوفي بها سنة عشرين ومائتين.[10]

7. الكسائي الكوفي " هو علي بن حمزة النحوي، ويكنى أبا الحسن، وقيل له الكسائي من أجل أنه أحرم في كساء – وتوفي " برنبوية " قرية من قرى الري حين توجه إلى خراسان مع الرشيد سنة تسع وثمانين ومائة. ومن أشهر رواته :أبو الحارث وحفص الدوري .

أ . أبو الحارث فهو الليث بن خلد البغدادي، توفي سنة أربعين ومائتين.

ب .. وأما حفص الدوري فهو الراوي عن أبي عمرو، وقد سبق ذكره.[11]

8. أبو جعفر المدني " هو يزيد بن القعقاع المخزومي المدني وكنيته أبو جعفر أحد القراء العشرة ، من التابعين ، وكان أبو جعفر إمام أهل المدينة في القراءة مع تمام الثقة وكمال الضبط روى القراءة عنه نافع بن أبي نعيم وعيسى بن وردان وأبو عمرو بن العلاء ، توفي رحمه سنة 130 هـ على الأرجح ,ومن رواته ابن وردان وابن جماز

أ . ابن وردان وابن جماز: فأما ابن وردان فهو أبو الحارث عيسى بن وردان المدني، وتوفي بالمدينة في حدود الستين ومائة.

ب . وأما ابن جماز فهو أبو الربيع سليمان ابن مسلم بن جماز المدني، وتوفي بها بعيد السبعين ومائة.[12]

9. يعقوب الحضرمي البصري " هو يعقوب بن إسحاق بن زيد بن عبدالله بن أبي إسحاق الحضرمي البصري ، وكنيته أبو محمد أحد القراء العشرة توفي سنة 205 هـ وقد روى عنه رويس و روح :

أ . رويس: فأما رويس فهو أبو عبد الله محمد بن المتوكل اللؤلؤي البصري، ورويس لقب له، وتوفي بالبصرة سنة 238هـ .

ب . وأما روح فهو أبو الحسن روح بن عبد المؤمن البصري النحوي، وتوفي سنة 235هـ .[13]

10. خلف بن هشام البزاز البغدادي : وهو أحد راويي حمزة وسبقت ترجمته هناك .وقد روى عنه إسحاق وإدريس :

أ . إسحاق: هو أبو يعقوب إسحاق بن إبراهيم بن عثمان الوراق المروزي ثم البغدادي، وتوفي 286هـ.

ب . وأما إدريس فهو أبو الحسن إدريس بن عبد الكريم البغدادي الحداد، سئل عنه الدار قطني فقال: هو ثقة وفوق الثقة بدرجة توفي في يوم الأضحى سنة 292 هـ .[14]

المبحث الثالث :

أ . تعريف المصدر وشروط عمله والفرق بينه وبين اسم المصدر .

قال ابن مالك :

بفعله المصدر ألحق في العمل ... مضافا أو مجردا أو مع أل

إن كان فعل مع أن أو ما يحل ... محله ولاسم مصدر عمل[15]

يعمل المصدر عمل فعله في موضعين :

أولهما :أن يكون نائبا مناب الفعل نحو : ضربا زيدا .فزيدا منصوب ضربا ؛لنيابته مناب اضرب .

وثانيهما : أن يكون المصدر مقدرا بأن والفعل أو ما والفعل ، فيقدر بأن إذا أريد به المضي أو الاستقبال نحو : عجبت من ضربك زيدا (أمس أو غدا) .

ويقدر بما إذا أريد به الحال نحو: عجبت من ضربك زيدا (الآن) .

والمصدر يعمل عمل فعله في ثلاثة أحوال وهي :

. مضافا :نحو عجبت من ضربك زيدا .

. ومجردا من أل والإضافة وهو المنون نحو: أو إِطۡعَٰمٞ فِي يَوۡمٖ ذِي مَسۡغَبَةٖ يَتِيمٗاذَامَقۡرَبَةٍ (البلد 16.15) فيتيما منصوب بإطعام .

. والمعرف بأل نحو : عجبت من الضرب زيدا .[16]

ولابد هنا من التفريق بين المصدر واسم المصدر ؛ فاسم المصدر يعمل عمل فعله بالشروط السالفة الذكر، ويختلف عن المصدر بخلوه لفظا وتقديرا من بعض ما في فعله من حروف دون تعويض كعطاء فإنه مساو لإعطاء مع خلوه من الهمزة ومن إعمال اسم المصدر قول الشاعر :

إذا صح عون الخالق المرء لم يجد*****عسيرا من الآمال إلا ميسرا .[17]

فعون اسم مصدر نصب به المفعول به وهو المرء بعد إضافته لفاعله.[18]

ب . توجيه القراءات القراء العشر في إعمال المصدر :

علمنا من خلال مصطلحات البحث أن القراءة هي معرفة كيفية النطق بكلمات القرآن وأدائها مع عزو كل طريقة لصاحبها، وهذه الطرق وإن اختلفت في ما بينها في طريقة النطق والأداء على نحو ما علمنا عند الحديث عن المقصود بالأحرف السبعة ؛لكنها لا تختلف في مضمونها ولا تؤثر في المعنى العام للمنطوق به، وماهي اللهجات على نحو ما نشاهده ونسمعه اليوم من اختلاف في لغتنا بين قطر وقطر وبين مدينة وأخرى في البلد الواحد. وقد اختلفت القراءات القرآنية في ما بينها في إعمال المصدر وهو ما سنحاول الخوض فيه في الصفحات التالية سائلا المولى (عز وجل) التوفيق والسداد ولن يكون حديثنا عن كل آيات القرآن وإنما سنختار آيات منه لنرى كيف قرأها كل قارئ وسنحاول أن نجد لها التوجيه والتخريج من بعض كتب القراءات .وستكون بدايتنا مع الآية الخامسة والتسعين من سورة المائدة وهي قوله تعالى :

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقۡتُلُواْ ٱلصَّيۡدَ وَأَنتُمۡ حُرُمٞۚ وَمَن قَتَلَهُۥ مِنكُم مُّتَعَمِّدٗا فَجَزَآءٞ مِّثۡلُ مَا قَتَلَ مِنَ ٱلنَّعَمِ يَحۡكُمُ بِهِۦ ذَوَا عَدۡلٖ مِّنكُمۡ هَدۡيَۢا بَٰلِغَ ٱلۡكَعۡبَةِ أَوۡ كَفَّٰرَةٞ طَعَامُ مَسَٰكِينَ أَوۡ عَدۡلُ ذَٰلِكَ صِيَامٗا لِّيَذُوقَ وَبَالَ أَمۡرِهِۦۗ عَفَا ٱللَّهُ عَمَّا سَلَفَۚ وَمَنۡ عَادَ فَيَنتَقِمُ ٱللَّهُ مِنۡهُۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٞ ذُو ٱنتِقَامٖ.

اختلف القراء في قراءة هذه الآية على فرقتين :

الأولى ترك التنوين في جزاء وإضافته إلى مثل وهي قراءة الحرميين (نافع وابن كثير) وابن عامر وأبي جعفر وظاهرها إعمال المصدر ؛ أي جعله مضافا لعامله .

والقراءة الثانية تنوين جزاء ورفع مثل وهي قراءة الكوفيين .ورفع جزاء اختلف فيه على أقوال :

أولها : الرفع بالابتداء وجعل الخبر محذوفا والتقدير على هذا فعلى القاتل جزاء مماثل للمقتول .

والثاني خبر لمبتدأ محذوف وتقديره فالواجب جزاء .

والثالث : فاعل لفعل محذوف والتقدير يجب عليه جزاء .

أما توجيه قراءة الآية :

من قرأ بتنوين جزاء ورفع مثل ، جعل مثل صفة للجزاء فيكون المعنى على هذه القراءة :فعليه جزاء من النعم يماثل المقتول .

ومن قرأ جزاء بالرفع من غير تنوين وجر مثل على الإضافة تكون جزاء هنا مضافة لمثل من إضافة المصدر لمعموله ويكون المعنى حينئذ عليه أن يجزي المقتول من الصيد مثله من النعم .[19]

والآية الثانية التي سيدور حولها الحديث هي قوله تعالى وَكَذَٰلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ قَتۡلَ أَوۡلَٰدِهِمۡ شُرَكَآؤُهُمۡ لِيُرۡدُوهُمۡ وَلِيَلۡبِسُواْ عَلَيۡهِمۡ دِينَهُمۡۖ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَا فَعَلُوهُۖ فَذَرۡهُمۡ وَمَا يَفۡتَرُونَ (الأنعام آية 137).

قرأ التسعة عدا ابن عامر بفتح الزاي والياء ونصب اللام في قتل وجر الدال في أولادهم ، ورفع الهمزة في شركائهم .

وقرأ ابن عامر بضم الزاي في زين؛ حيث جعل الفعل مبنيا للمجهول، ورفع لام قتل وجر همزة شركائهم وإضافة مثل إليه وهنا فصل بين المتضايفين بغير الظرف وهو مالا يجيزه البصريون إلافي ضرورة الشعر [20].

والتوجيه النحوي للقراءتين يمكن القول فيه: إن من قرأ بفتح الزاي جعل الفعل ماضيا ولفظ لكثير جار ومجرور متعلق به ، وقتل بنصب اللام مفعولا به للمصدر وهو مضاف وأولادهم مضاف إليه وهو من باب إضافة العامل إلى معموله، وشركاؤهم برفع الهمزة فاعل للفعل زين .

أما القراءة الثانية وهي قراءة ابن عامر منفردا يمكن القول فيها :إنه جعل الفعل زين مبنيا للمجهول وقتل ارتفع على أنه نائب فاعل، وأولادهم مفعولا به منصوب وشركائهم مجرور بإضافته إلى قتل وهو مالا يجيزه البصريون كما أسلفنا .[21]

والآية الثالثة التي سيدور حولها الحوار في عمل المصدر هي قوله تعالى :" إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنۡيَا بِزِينَةٍ ٱلۡكَوَاكِبِ (الصافات 6) حيث قرأ الحرميان وأبوعمرو وابن عامر والكسائي وأبوجعفر ويعقوب وخلف العاشر بإضافة زينة إلى الكواكب ؛ أي بترك تنوين زينة .بينما قرأ حفص وحمزة بتنوين زينة وجر الكواكب. وقرأ شعبة منفردا بتنوين زينة ونصب الكواكب وهو بهذه القراءة أهمل عمل المصدر.

ويمكن توجيه القراءات الثلاث توجيها نحويا في ما يلي :

فالقراءة الأولى وهي قراءة نافع ومن معه تحتمل ثلاثة أوجه: الأول أن تكون من إضافة الأعم للأخص كقولك ثوب خز وخاتم حديد. فيكون المعنى بزينة من الكواكب.

والثاني: أن تكون الزينة مصدرا مضافا للفاعل فيكون المعنى إن زينة الكواكب السماء بضوئها .

والثالث: أن تكون الزينة مصدرا مضافا للمفعول عامل فيه .فيكون المعنى أن زان الله الكواكب وحسّنها .

أما من قرأ بتنوين زينة وجر الكواكب فالزينة هنا ما يتزين به؛ وهو مقطوع عن الإضافة ؛ ذلك أن التنوين والإضافة لا يجتمعان، وإعراب الكواكب هنا يحتمل وجهين لا ثالث لهما وهما : إما أن تكون عطف بيان للزينة أو بدل بعض من كل . والمعنى في الحالتين إنا زينا السماء بزينة هي الكواكب .

أما القراءة الثالثة وهي قراءة شعبة منفردا فتحتمل ثلاثة أوجه :

الأول: أن تكون الزينة مصدر والكواكب مفعولا به والفاعل محذوف للعلم به والتقدير زين الله الكواكب .

والثاني : تكون الكواكب منصوبة على الاختصاص .

والثالث : أن تكون بدل اشتمال من السماء ؛فيكون المعنى زينا كواكب السماء .[22]

والآية الأخيرة التي سنتحدث فيها عن احتلاف القراءات في عمل المصدر هي قوله تعالى ٱلَّذِينَ أُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيۡرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُۗ وَلَوۡلَا دَفۡعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعۡضَهُم بِبَعۡضٖ لَّهُدِّمَتۡ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٞ وَصَلَوَٰتٞ وَمَسَٰجِدُ يُذۡكَرُ فِيهَا ٱسۡمُ ٱللَّهِ كَثِيرٗاۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ (الحج الآية 40) حيث قرئت دفاع بوجهين : الأول : بكسر الدال وألف بعد الفاء وهي قراءة نافع وأبي جعفر ويعقوب .

والوجه الآخر بغير ألف بعد الفاء مع فتح الدال وإسكان الفاء وهي قراءة ابن كثير وأبي عمرو وابن عامر وعاصم وحمزة والكسائي وخلف .

ووفق القراءتين فإن المصدر عمل عمل فعله وإنما الاختلاف في صيغة المصدرين ؛ فالذين قرأوا بالألف بعد الفاء يحتمل أن يكون مصدر دفع الثلاثي نحو كتب كتابا ويحتمل أن يكون مصدرا لفاعل بمعنى فعل المجرد . ومن قرأ دفع بسكون الفاء بغير ألف فهو مصدر وفعله دفع الثلاثي وهو

هنا مصدر مضاف إلى الفاعل "دفع الله" فهو مجرور بالإضافة في موضع رفع فاعل وهذا التخريج صالح للقراءتين .[23]

نتائج البحث :

1. بعد العرض لاختلاف القراء العشرة في عمل المصدر نجد أن الاختلاف بينهما قد لا يتجاوز الأربع أو خمس مواضع ، ذلك أن بعض مواضع عمل المصدر مكررة في القرآن الكريم فاقتصرنا على أربعة مواضع في أربع آيات وقد حاولت الخوض فيها من خلال الرجوع لبعض المصادر كتفسير القرطبي والبحر المحيط والنشر في القراءات العشر

2. وقد اتضح جليا اختلاف المعنى عند إعمال المصدر وإهماله مع ثبات المعنى العام لكلام الله فلا تعارض فيه عند الجميع .

3. وقد تبين أيضا تعدد وجوه الإعراب في كل قراءة .

4. لابد من قبول جميع القراءات حتى وإن خالفت قواعد العربية ؛ ذلك أن القراءة سنة متبعة وهي حجة على العربية .

الخاتمة :

وفي ختام هذا البحث نشكر المولى الذي يسر وأعان وكذلك كل من مد يد العون سواء بالملاحظة أو بالتذكير ببعض ما سقط سهوا وتم تداركه، فإن وفقت فمنه وحده التوفيق والسداد وإن كانت الأخرى فمني ومن الشيطان ويبقى الكمال لله وحده .

والحمد لله أولا وآخرا.

الهوامش :

القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم الكوفي.

1. مباحث في علم القراءات تأليف محمد عباس الباز دار الكلمة . القاهرة الطبعة الأولى 2004 م ص 29 .

2 . نفسه ص 30 .

3. البذور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة .عبدالفتاح القاضي دار الكتاب العربي . بيروت . لبنان ص 55

4. مباحث في علم القراءات ص 48 وما بعدها .

5 . تاريخ القراء العشرة ورواتهم عبدالفتاح القاضي المكتبة الزهرية للتراث الطبعة الأولى 2002م ص11وما بعدها .

6 . نفسه ص 21 .

7. نفسه ص26,

8. نفسه ص 34 .

9 . نفسه ص 39 .

10. نفسه ص 44.

11. نفسه ص 50 .

12. نفسه ص 55.

13. نفسه ص 60.

14 . نفسه ص 66.

15. شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك تحقيق : محمد محيي الدين عبدالحميد دار التراث الطبعة العشرون 1980 م ج 3 ص93

16. نفسه ص 98.

17. نفسه ص99

18. نفسه ص 100

19. الجامع لأحكام القرآن للقرطبي أبوعبدالله محمد بن أحمد تحقيق أحمد البردوني وإبراهيم إطفيش .دار الكتب المصرية . القاهرة الطبعة الثانية 1964 ج 6 ص 309

20. الأنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين كمال الدين أبي البركات الأنباري تأليف محمد محيي الدين عبدالحميد المكتبة العصرية .صيدا بيروت لبنان 2007 م ج2 ص 349

21الجامع لأحكام القرآن سبق ذكره ج7 ص 92

22. انظر البحر المحيط /أبوحيان محمد بن يوسف الأندلسي . تحقيق صدقي محمد جميل . دار الفكر . بيروت 1420 هـ . ج9 ص 91. وكذلك النشر في القراءات العشر لشرف الدين ابن الجزري تحقيق : علي محمد الصباغ المطبعة التجارية الكبرى 1431هـ ج2 ص356.

23. البحر المحيط ج2 . ص 595 وكذلك النشر في القراءات العشر ج2 ص 230 .